@ 301 @ من يشاء من عباده) ^ أي : يداولها بين الناس ، على حسب مشيئته وحكمته ، ولكن العاقبة للمتقين ، فإنهم وإن امتحنوا مدة ابتلاء من ا وحكمه فإن النصر لهم ، ^ (والعاقبة) ^ الحميدة ^ (للمتقين) ^ على قومهم . وهذه وظيفة العبد ، أنه عند القدرة ، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير ، ما يقدر عليه ، وعند العجز ، أن يصبر ويستعين ا ، وينتظر الفرج . ^ (قالوا) ^ لموسى متضجرين من طول ما مكثوا في عذاب فرعون ، وأذيته : ^ (أوذينا من قبل أن تأتينا) ^ فإنهم كانوا يسوموننا سوء العذاب ، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ^ (ومن بعدما جئتنا) ! 2 2 ! (قال) ^ لهم موسى ، مرجيا لهم بالفرج والخلاص من شرهم : ^ (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) ^ أي : يمكنكم فيها ، ويجعل لكم التدبير فيها ^ (فينظر كيف تعملون) ^ هل تشكرون أم تكفرون ؟ . وهذا وعد ، أنجزه ا ، لما جاء الوقت الذي أراده ا . قال ا تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة ، أنها على عادته وسنته في الأمم ، أن يأخذهم بالبأساء والضراء ، لعلهم يضرعون . الآيات : ^ (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) ^ أي : بالدهور والجدب ، ^ (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) ^ أي : يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم ، معاتبة من ا لهم ، لعلهم يرجعون عن كفرهم ، فلم ينجع فيهم ولا أفاد ، بل استمروا على الظلم والفساد . ^ (فإذا جاءتهم الحسنة) ^ أي : الخصب وإدرار الرزق ، ^ (قالوا لنا هذه) ^ أي : نحن مستحقون لها ، فلم يشكروا ا عليها . ^ (وإن تصبهم سيئة) ^ أي : قحط وجدب ^ (يطيروا بموسى ومن معه) ^ أي : يقولوا : إنما جاءنا ، بسبب مجيء موسى ، واتباع بني إسرائيل له . قال ا تعالى : ^ (ألا إنما طائرهم عند ا) ^ بقضائه وقدرته ، ليس كما قالوا ، بل إن ذنوبهم وكفرهم ، هو السبب في ذلك ، ^ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ^ أي : فلذلك قالوا ما قالوا . ^ (وقالوا) ^ مبينين لموسى أنهم لا يزالون ، ولا يزولون عن باطلهم ^ (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) ^ أي : قد تقرر عندنا ، أنك ساحر ، فمهما جئت بآية ، جزمنا أنها سحر ، فلا نؤمن لك ، ولا نصدق . وهذا غاية ما يكون من العناد ، أن يبلغ بالكافرين ، إلى أن تستوي عندهم الحالات ، سواء نزلت عليهم الآيات ، أم لم تنزل . ^ (فأرسلنا عليهم الطوفان) ^ أي : الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم ، وأضرهم ضررا كثيرا . ^ (والجراد) ^ فأكل ثمارهم ، وزروعهم ، ونباتهم . ^ (والقمل) ^ قيل : إنه الدباء ، أي : صغار الجراد ، والظاهر أنه القمل المعروف . ^ (والضفادع) ^ فملأت أوعيتهم ، وأقلقتهم ، وآذتهم أذية شديدة .

^ (والدم) ^ إما أن يكون الرعاف ، أو كما قال كثير من المفسرين ، أن ماءهم الذي يشربون ، انقلب دما ، فكانوا لا يشربون إلا دما ، ولا يطبخون . ^ (آيات مفصلات) ^ أي : أدلة وبينات ، على أنهم كانوا كاذبين ظالمين ، وعلى أن ما جاء به موسى ، حق وصدق . ^ (فاستكبروا) ^ لما رأوا الآيات ^ (وكانوا) ^ في سابق أمرهم ^ (قوما مجرمين) ^ ، فلذلك عاقبهم ا تعالى ، بأن أبقاهم على الغي والضلال . ^ (ولما وقع عليهم الرجز) ^ أي : العذاب ، يحتمل أن المراد به : الطاعون ، كما قاله كثير من المفسرين . ويحتمل أن يراد به ، ما تقدم من الآيات ، الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، فإنها رجز وعذاب ، وأنهم كلما أصابهم واحد منها ، ^ (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) ^ أي : تشفعوا بموسى بما عهد ا عنده ، من الوحي والشرع ، ^ (لئن كشفت عنا الرجز ، لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بني إسرائيل) ^ وهم في ذلك كذبة ، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب ، وظنوا أنه إذا رفع لا يصيبهم غيره . ^ (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه) ^ أي : إلى مدة قدر ا بقاءهم إليها ، وليس كشفا مؤبدا ، وإنما هو مؤقت ، ^ (إذا هم ينكثون) ^ العهد الذي عاهدوا عليه موسى ، ووعدوه بالإيمان به ، وإرسال بني إسرائيل . فلا آمنوا به ، ولا أرسلوا معه بني إسرائيل ، بل استمروا على كفرهم يعمهون ، وعلى تعذيب بني إسرائيل دائبين . ^ (فانتقمنا منهم) ^ أي : حين جاء الوقت المؤقت لهلاكهم ، أمر ا موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا ، وأخبره أن فرعون سيتبعهم هو وجنوده . ^ (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) ^ يجمعون الناس ، ليتبعوا بني إسرائيل ، وقال لهم : ^ (إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون * فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل * فأتبعوهم مشرقين * فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين) ^ . وقال هنا : ^ (فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ^ أي : بسبب تكذيبهم بآيات ا وإعراضهم عما دلت عليه من الحق . ^ (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) ^ في الأرض ، أي : بني إسرائيل ، الذين كانوا خدمة لآل